



خطبة صلاة الجمعة 31/10/2025 للشيخ الطيب محمد خير الشَّعَال، في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالكي

### (الألفة بين المسلمين)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونستترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرشدًا، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيِّدنا محمدًا عبده ورسوله، وصفيه وخليله، خير نبيِّ اجتهابه، وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كرهه، اللهم صلِّ على سيِّدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ \* وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ \* وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: 103-104-105].

عنوان خطبة اليوم: الألفة بين المسلمين

### أيها الإخوة:

المتبَّع لآيات القرآن الكريم وأحاديث النبي ﷺ وأحكام الشريعة الغراء؛ يجد أن هذا الدِّين يدعو في كل تعاليمه -بطريقة أو بأخرى- إلى التآلف والجماعة والتحابب، وينهى -بطريقة أو بأخرى- عن التفرُّق والتشردم والتناحر والتدابر.

ففي سورة الفاتحة نقرأ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ بصيغة الجمع في نعبد ونستعين واهدنا، ولو أن رجلاً كان يصلي في جوف الليل وحده، في غرفته الخاصة، ولا يعلم بحاله وعمَّله إلا الله، لَمَا صحَّ منه أن يقرأ في صلاته إلا بلفظ الجماعة، وهو لفظ القرآن الكريم: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ \* اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾

ولو قال: إِيَّاكَ أَعْبُدُ وَإِيَّاكَ أَسْتَعِينُ اهْدِنِي الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، لبطلت صلاته؛ لأنه حَرَفَ كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى وَغَيْرَهُ.

وَكأنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَرِيدُنَا أَنْ نَأْتِيَ إِلَيْهِ مَجْتَمِعِينَ لَا مَتَفَرِّقِينَ، وَمَتَعَاوِنِينَ لَا مَتَنَاحِرِينَ. وَتَعْلَمُونَ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ بَأَنَّ صَلَاةَ الْجَمَاعَةِ فِي الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ الْفَرْدِ، وَبَأَنَّ صَلَاةَ الْجَمَاعَةِ لَا تَصِحُّ إِلَّا جَمَاعَةً، وَبَأَنَّ الرِّكَاعَةَ وَالصَّدَقَاتِ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ التَّرَابِطِ الْجَمَاعِيِّ الْمَادِيِّ، وَبَأَنَّ الْحَجَّ وَقَوْفَ الْحَجِيجِ بَعْرِفَةَ مَجْتَمِعِينَ، وَبَأَنَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ سُمِّيَ بِذَلِكَ لِلاجْتِمَاعِ وَالتَّلَاقِي، وَبَأَنَّ الْمَسْجِدَ يُسَمَّى جَمَاعَةً لِاجْتِمَاعِ الْمُسْلِمِينَ فِيهِ عَلَى الْخَيْرِ.

بُرِّ الوَالِدِينَ، وَرِعَايَةَ الزَّوْجِ، وَصَلَةَ الْأَرْحَامِ، وَإِكْرَامَ الضَّيْفِ، وَالْإِحْسَانَ إِلَى الْجِيرَانِ؛ وَعَوْنَ النَّاسِ، وَعِيَادَةَ الْمَرِيضِ، رَدَ الظَّالِمِ عَنِ ظُلْمِهِ، وَالْعَفْوَ عَنِ الْمَسِيءِ، وَالْكَفَّ عَنِ أَعْرَاضِ النَّاسِ؛ وَالْقَضَاءَ بِالْحَقِّ بَيْنَ النَّاسِ، وَرَدَ الْحَقُوقَ إِلَى أَصْحَابِهَا، وَإِنْصَافَ الْمَظْلُومِ..؛ كُلُّهَا أَوْامِرٌ يَأْمُرُ بِهَا الْإِسْلَامُ لِيَعَزَّزَ رُوحَ الْجَمَاعَةِ وَيُؤَلِّفَ بَيْنَ أَفْرَادِهِ.

الْحَسَدَ وَالبَغْضَاءَ وَالمَرَاءَ وَالجِدَالَ، وَالعِلْظَةَ وَالفِظَاطَةَ، وَالعِيْبَةَ وَالنَّمِيْمَةَ، وَالحَقْدَ، وَالظُّلْمَ، وَعَقُوقَ الوَالِدِينَ، وَقَطِيعَةَ الرَّحِمِ، وَأَذِيَةَ الْجَارِ، وَالإفْسَادَ فِي الْأَرْضِ، كُلُّهَا نَوَاهِ حُدْرٍ مِنْهَا الْإِسْلَامُ لِيَقْطَعَ رَوَافِدَ التَّفَرُّقِ وَالتَّشْرِذِ، وَلِيَحْفَظَ عَلَى الْجَمَاعَةِ وَالْأَلْفَةَ.

وَفي كُلِّ هَذَا دِلَالَاتٌ وَاضِحَةٌ عَلَى دَعْوَةِ الْإِسْلَامِ إِلَى الْأَلْفَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ؛ لِأَنَّ الْأَلْفَةَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ رَحْمَةٌ وَالبَغْضَاءَ عَذَابٌ.

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاظِفِهِمْ: مِثْلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضْوٌ: تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى».

وَفي رِوَايَةٍ: «الْمُسْلِمُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ، إِنْ اشْتَكَى عَيْنُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ، وَإِنْ اشْتَكَى رَأْسُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ».

وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ قَالَ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ يَأْلَفُ وَيُؤْلَفُ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ، وَلَا يُؤْلَفُ».

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لِتَلْمِيذِهِ سِمَاكَ: "يَا سِمَاكَ، الْجَمَاعَةُ الْجَمَاعَةُ، فَإِنَّمَا هَلَكَتِ الْأُمَّمُ الْخَالِيَةُ لِتَفَرُّقِهَا".

**أَيُّهَا الْإِخْوَةُ:**

فَهِمْ عِلْمَاءَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَسَلَفَهَا هَذِهِ الْمَعَانِي وَتَمَثَّلُوهَا فَاخْتَلَفَتْ آرَأؤُهُمْ وَاتَّخَلَفَتْ أَرْوَاحُهُمْ، وَتَعَدَّدَتْ مِشَارِبُهُمْ وَاتَّحَدَتْ قُلُوبُهُمْ.

أَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "إِنْ مَا تَكْرَهُونَ فِي الْجَمَاعَةِ خَيْرٌ مِمَّا تَحِبُّونَ فِي الْفِرْقَةِ".

قال الإمام مالك: "حج المنصور فقال لي: إني قد عزمت على أن أمر بكتبتك هذه التي وضعتها فتتسخ، ثم أبعث إلى كل مصر من أمصار المسلمين منها بنسخة وأمرهم أن يعملوا بما فيها ولا يتعدوه إلى غيره.

فقلت يا أمير المؤمنين لا تفعل هذا، فإن الناس قد سيقت إليهم أقاويل، وسمعوا أحاديث وروا روايات، وأخذ كل قوم بما سيق إليهم ودانوا به، فدع الناس وما اختار أهل كل بلد منهم لأنفسهم".

وكرر هذا الطلب هارون الرشيد زمن خلافته؛ قال الإمام مالك: "شاوري هارون الرشيد في أن يعلق الموطأ في الكعبة ويحمل الناس على ما فيه.

فقلت: لا تفعل فإن أصحاب رسول الله ﷺ اختلفوا في الفروع وتفرقوا في البلدان وكل عند نفسه مصيب".

وفي رواية: يا أمير المؤمنين إن اختلاف العلماء رحمة من الله على هذه الأمة، كل يتبع ما صح عنده، وكل على هدى وكل يريد الله تعالى، فقال هارون الرشيد: وفقك الله يا أبا عبد الله".

قال ابن تيمية رحمه الله: "صنف رجل كتاباً في الاختلاف، فقال أحمد لا تسمه كتاب الاختلاف، ولكن سمه كتاب السنة".

يريد يسميه بذلك دلالة على تعدد المروي عن رسول الله ﷺ، وبساط السنة فسيح فيه سعة.

قال ولهذا كان بعض العلماء يقول إجماعهم حجة قاطعة واختلافهم رحمة واسعة.

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى: "ما يسرني أن أصحاب رسول الله ﷺ لم يختلفوا، لأنهم إذا اجتمعوا على قول فخالفهم رجل كان ضالاً، وإذا اختلفوا فأخذ رجل بقول هذا، ورجل بقول هذا، كان في الأمر سعة.

روى الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء عن الإمام الحافظ أبي موسى يونس بن عبد الأعلى المصري أحد أصحاب الإمام الشافعي أنه قال: "ما رأيت أعقل من الشافعي ناظرته يوماً في مسألة ثم افترقنا، ولقيني فأخذ بيدي، ثم قال يا أبا موسى ألا يستقيم أن نكون إخواناً وإن لم نتفق في مسألة؟".

قال الذهبي: "هذا يدل على كمال عقل هذا الإمام وفقه نفسه، فما زال النظراء يختلفون".

قال الحافظ أبو ذر المهروي راوية صحيح البخاري: "قدمت بغداد لطلب الحديث فلزمت الدارقطني إمام الحديث في زمانه، فلما كان في بعض الأيام كنت معه فاجتاز به القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي الأشعري، فأظهر الدارقطني من إكرامه ما تعجبت منه. فلما فارقه قلت له: أيها الشيخ الإمام من هذا

الذي أظهرت من إكرامه ما رأيت؟! فقال: وما تعرفه؟ قلت: لا، قال: هذا سيف السنة أبو بكر الباقلايني الأشعري".

فتراجم علمائنا وسلف هذه الأمة دالةً على تأخي العلماء وتحائبهم، وتقدير بعضهم لبعض وإن اختلفت مذاهبهم وأفهامهم.

وهم وإن اختلفوا في كثير من المسائل العملية وبعض المسائل العلمية الاعتقادية، ولكنهم حافظوا على أدب الخلاف والألفة والمحبة واحترام المسلمين.

### أيها الإخوة:

معلوم للجميع أن سياسة (فرق تسد) سياسة الاستعمار القديم في بلاد المسلمين، وأن (تقسيم المقسم وتجزئة الجزأ) سياسة الاستعمار الحديث.

والأمة في هذه الأزمنة العصبية أحوج ما تكون إلى توحيد الجهود وتآلف القلوب، خاصة وأن المسلمين تجمعهم عقيدة واحدة وكتاب رباني واحد ورسالة نبوية هادية جامعة.

كونوا جميعاً يا بني إذا اعترى

خطبٌ ولا تتفرّقوا أحادا

تأبى الرماحُ إذا اجتمعنَ تكسراً

وإذا افتقرنَ تكسرت أحادا

قال القاضي عياض رحمه الله: "الألفة إحدى فرائض الدين وأركان الشريعة ونظام شمل الإسلام".

والحمد لله رب العالمين